منهجية التفكير النحويّ بين التلميذ وأستاذه

* د.شذي عطا جرار

Abstract:

This study sets forth the synthetic thinking methodology of "Ibn Jenni"; (the scholar), and Al- Farisi, the "teacher", who both lived in the Fourth Hijri century; the century of mature synthetic thinking methodology, which witnessed the rise of analogy, analysis, reasoning, and evidencing.

The method of both is scientifically oriented. It reflects their independent viewpoints, their views on the extent to which they were affected by "Sibawaih", and their merit to disagree with him, as well as with the rest of "Al-Basra Syntax Scholars".

The study asserts that they resorted to logic in studying syntax, its basics, and the synthetic reasoning. They put much emphasis on clues, all of which happened to be a common methodology of the scholar and his teacher, marking the maturity of their synthetic thinking.

An emphasis is put in the study to some synthetic issues that Ibn Jenni complemented the views of the "Al-Farisi", stressing specific parts where the scholar far exceeded his teacher, when addressing issues such as: " wai ka anna", the six nouns; (al asma'a assetta), the discontinuous exception, " hatta", and the female, mid consonant noun.

Key Words:

Syntax, Synthetic Thinking, Analogy, Analysis, Reasoning, Evidencing

* أستا ذ مساعد في النحو العربي في قسم اللغة العربية وادابها كلية الاداب والعلوم – جامعة الشرق الأوسط عمان – الأردن

تعرض الدراسة منهجية التفكير النحوي بين ابن جنّي التلميذ، والفارسيّ الأستاذ، اللذين عاشا في القرن الرابع الهجريّ، قرن نضوج التفكير النحويّ، بشياع القياس، والتحليل، والتعليل، والاحتجاج فيه.

وقد طغي على منهجيتهما ما ظهر من أمانتهما العلمية، ورأيهما المستقل، وموقفهما من سيبويه من التأثّر به، وبعدم تحرّجهما من مخالفته ومخالفة آراء جمهور النحويين البصريين، ثم سريان روح المنطق في دراستهما المسائل النحوية، وأحكامهما وعللهما النحوية، وعنايتهما بالشواهد: سمات منهجية مشتركة بين التلميذ وأستاذه؛ ليدل على نضوج التفكير النحوي عندهما.

وتناولت الدراسة بعض المسائل النحوية التي تابع فيها ابن جنّي رأي الفارسيّ، كما أبرزت المواطن التي تفوّق فيها التلميذ على أستاذه، مثل مسألة (ويكأنَّ)، والأسماء الستة، والاستثناء المنقطع، و(حتّى)، والاسم المؤنث الساكن الوسط الممنوع والمصروف.

عاش كلّ من ابن جنّي التلميذ (392هـ) والفارسيّ الأستاذ (377هـ) في القرن الرابع الهجري الممثّل قمّة نضوج الفكر النحوي، برقي القياس والتعليل والتحليل فيه. وابن جنّي النحويّ بغزير علمه ومعرفته، وتنوّع كتبه في العربية ذات المنهج البارع في التأليف، والمذهب الخالي من التعصّب لفرقة دون سواها، أو التعصب لرأيه، مُعجَبٌ بأستاذه الفارسيّ، وبمعلِّم النحو الأكبر سيبويه، يتبع من خالف آراء سيبويه أحيانًا، ويخالفهم جميعًا أحايين أُخر، بتأدّبِ تلميذٍ معترفٍ بفضلِ من سبقه، ذي مكانة نحوية رفيعة مثل أستاذه.

وهما نحويان مجوّدان، ولم يكونا نحويّيْن تقليديّيْن كمن سبقهما أو عاصرهما؛ فليس النحو عندهما مجرّد قواعد مبنية على شواهد أو أمثلة بعيدة عن الواقع؛ بل هو مرتبط بواقع الحياة اللغوية، وبباقي فروع العربية. وقد نُعِتَ

ابن جنيّ بالنحويّ1؛ بقَصْدِ النحو دون سواه من فروع العربية، ودليل ذلك تعريفه هو النحو في الخصائص إذ قال فيه: هو "انتحاء سَمْت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها من الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذَّ بعضهم عنها رُدّ به إليها"2.

وهما صاحبا نمط في التفكير متفرّد في معالجة المسائل النحوية؛ ممّا جعل العلماء يجلّونهما؛ فالباخرزي مثلًا يثبت تفرّد ابن جنيّ الفكري قائلًا: "ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات، وشرح المشكلات ما له، فقد وقع عليها مِن ثمرات الأعراب، ولا سيما في علم الإعراب، ومن تأمّل مصنّفاته وقع على بعض صفاته"3. فاستحقّ الإمامة في العربية4 بفروعها، بعقليّته الناضجة المبتكِرة الفائقة بتصوّراتها كلّ نظير لها.

وابن جنّي صحب الفارسيّ وأخذ النحو عنه، إذ كان ابن جنّي كان يقرأ النحو بجامع الموصل، فمرّ به الفارسيّ، فسأله في مسألة في التصريف فقصّر فيها، فقال له أبو عليّ: زَبَّبْتَ قبل أن تحصرم، فلزمه من يومئذ مدة أربعين سنة.5،

1 فالسِّمعاني في الأنساب وصفه بالنحوي المدقِّق المصنِّف، فقال: "كان نحويّاً حاذقًا مجوِّدًا" 100/2 وتابعه ابن الأنباري في نزهة الألبّاء بذلك إذ قال: "كان من حذّاق أهل الأدب، وأعلمهم بعلم النحو والتصريف، صنّف في النحو والتصريف كتبًا أبدع فيها". 244. ووافقه ياقوت: معجم الأدباء4 /1594، والسيوطيّ: بغية الوعاة 132/2، والموسوي: روضات الجنات 178/5 في ذلك. وممن نعته بالنحويّ أيضًا: الثعالبي: يتيمة الدهر1/ 137، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد11/ 310، والقفطي: إنباه الرواة 340/2، واليافعي: مرآة الجنان 334/2، وابن خلّكان: وفيات الأعيان 246/3، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة 205/4، ، وابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب 273/3.

34/1 2

3 الباخرزي: دمية القصر وعصرة أهل العصر 3/ 1481.

4 يقول ابن خلّكان: وفيات الأعيان "كان إماماً في علم العربية " 246/3 ، وتابعه اليافعي: مرآة الجنان 335/2.
ووصفه اليماني: إشارة التعيين " بالإمام الأوحد، البارع المتقدم" 200 ، وتابعه الفيروزآباذي: البلغة 141. وهو عند الثعالبيّ في اليتيمة: "القطب في لسان العرب". 137/1

5 انظر ابن الأنباري: نزهة الألباء 244، والقفطي: إنباه الرواة 1 / 300، واليماني: إشارة التعيين 84، واليافعي: مرآة الجنان

"وقرأ عليه الكتاب، وغيره"1. فقد كان الفارسيّ من أكابر أئمة النحو، عالي المنزلة فيه، وفضّله كثير من النحويين على أبي العبّاس المبرّد، حتى قيل فيه: "ما كان بين سيبويه وأبي عليّ أفضل منه"2. وهو "أشدُّ تفرّدًا بالكتاب، وأشدُّ إكبابًا عليه"3 ولهذا عدّه المترجمون الإمام في النحو، البارع فيه. حتى قيل إنّه كان "في المئة الرابعة وبيْن علمائها كما كان سيبويه في المئة الثانية وبيْن علمائها، مثلًا عاليًا للأستاذية العاملة المنتجة، والغزارة العلمية الدافقة، والقدرة الذهنية الفائقة على التبويب والتصنيف"4.

العرفان بالجميل .

ابن جنّي شديد الإعجاب بالفارسيّ، كثير الثناء عليه والترحّم، معترف بفضله، وفيٌّ له، يشيد ببراعته النحوية المتمثّلة بالفكر العميق والنظر الدقيق في المسائل، والذكاء في التعليل، والنباهة في التحليل، والمنطقية في القياس؛ فقد أثنى عليه قائلًا: "فما كان أقوى قياسَه، وأشدَّ بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه. فكأنه إنما كان مخلوقًا له... وقد أقام على هذه الطريقة مع جلّة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة، زائحة علله، ساقطة عنه كُلَفهُ، وجعله همَّه وسَدَمه، لا يعتاقه عنه ولد، ولا يعارضه فيه متجر ولا يسوم به مطلباً، ولا يخدم به رئيسًا"5. ولقد عبِقت كتب ابن جنّي بذكر مكانة الفارسيّ العلمية، المذيّلة بالرحمة عليه دائمًا، ومما أظهر هذا العرفان، ما حرص عليه ابن جنّي من إسناد الرأي له أثناء نقاشه مسائله النحوية بأمانة علمية، وموافقته له باقتناع، أو مخالفته بأدب عالِم.

1 التنوخي: تاريخ العلماء النحويين 25 .
2انظر: ابن الأنباري: نزهة الألباء 232 .
3 التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة 131/1.
4 عبد الفتاح شلبيّ: أبو عليّ الفارسيّ 2.
5 ابن جنّي : الخصائص 1 / 277 .

لأمانة العلمية والرأي المستقل:

رافق ابن جنّي الفارسيَّ أربعين سنةً فتأثّر التلميذ بأستاذه في سمات نهجه النحويّ. فهو لا يحصر أمانته العلمية بردّ الفضل لأصحابه فقط، وإنّما يعزو كلّ رأي لصاحبه في المسائل، ويقف عندها مقوّيًا أو مفسدًا، مؤكّدًا ومُرجّحًا ومستشهدًا، فلا يجد حرجًا في النقل عن المصيب من غير مذهبه والقول بقوله.

وقد عزّزَ أمانةَ ابن جنّي العلميةَ حرص الفارسيّ عليها؛ فهي من سمات نهجه الواضحة في مسائله المتنوّعة، فينسب الأمثلة بأخطائها لأصحابها، ويصرّح بجهله الأمر دونما حرج.

وتظهر أمانة أبي عليّ العلمية في أيّ مؤلَّف من مؤلَّفاته، فكتابه: "الإغفال، الذي يدور موضوعه حول مسائل أخذها عن شيخه الزّجاج في كتابه: معاني القرآن وإعرابه، يبدأ بذكر نصّ أبي إسحاق، ثمّ يتبعه بكلامه هو بقوله: "قال أبو عليّ"، ثم يفنّد رأي أبي إسحاق، ويدحضه بالأدّلة والبراهين، وينعت قوله بالغلط والنسيان، أو بالفساد والبُعد عن قول سيبويه1.

فهذه الأمانة في إسناد الرأي لصاحبه جعلت من كتبه مستودعَ آراء العلماء، بما حفظه لنا من نصوص علماء متقدّمين في النّحو والصّرف واللّغة، أمثال أبي زيد الأنصاريّ، وأبي الحسن الأخفش، وغيرهما من الذين فقدت أكثر مؤلفاتهم2.

ولا تتنافى هذه الأمانة العلمية مطلقًا مع شخصيته العلمية المستقلّة، فهو لا يقبل آراء الأئمّة على علاّتها دونما نقاش في المسائل، ونظر في أدلّتها، حتى يتبيّن له الرأي فيأخذ به، بغض النظر عن مخالفته العلماء أو موافقتهم. فكما ورث ابن جنّي الأمانة العلمية عن أستاذه الفارسيّ سمةً منهجيةً في مؤلفاته، كذلك ورث عنه هذه

1انظر: الفارسيّ: الإغفال(المسائل المصْلَحَة من كتاب معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجّاج)18/1 مقدمة التحقيق.
2 انظر: الفارسيّ: المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات 38 مقدمة التحقيق.

الاستقلالية الفكرية في الرأي. وعدم التعصّب المذهبيّ؛ فابن جنّي مع أستاذه يدوران في فلك الخليل وسيبويه والأخفش، ويقولان بآرائهم، وقد يخالفانهم أحيانًا، وقد يتفقان مع الكوفيين في بعض ما ذهبا إليه بقناعة مقرونة بالحجّة.

التلميذ والأستاذ ومنهجية التفكير النحويّ في ظل سيبويه:

ابن جنّي والفارسيّ معتدّان بسيبويه، مردّدان اسمه في مسائلهما المتنوّعة، مستشهدان بآرائه لتعزيز أحكامهما، مع المحافظة على شخصيّة نحويّة مستقلّة، قد يخالفان سيبويه الرأيَ، وينبريان لمناقشة الكلام، حتى يتبيّن وجه الصواب للأخذ به.

فابن جنّي، وإن لم يجد حرجًا في مخالفة سيبويه، اتّفق معه وسار على نهجه في كتبه، فقد اعتمد شواهده لتوثيق القراءات في كتابه "المحتسب" مثلًا. وهو لا يُظهر شغفه بسيبويه من خلال تأسّيه أحكامه وتخريجاته، وأخذه بشواهده فقط، ولكنّه أثنى عليه صراحة في الخصائص، إذ يعدّه صاحب علم النحو "الذي جمع شعاعه، وشرع أوضاعه، ورسم أشكاله، ووسم أغفاله، وخلج أشطانه، وبعج أحضانه، وزمّ شوارده، وأفاء موارده"1. ومع ولعه بآراء سيبويه، يظهر شخصية متفرّدة، بتخريجاته النحويّة الفريدة التي تنمّ عن ذكاء وعمق نظر. سائر على نهج أستاذه الفارسيّ المعتدّ بسيبويه المتخذه مرجعًا في النحو، وهو مع ذلك لا يتحرّج من مخالفته رأي سيبويه عندما تقوى حجته.

وألّف الفارسيّ كتبًا تدور موضوعاتها حول كتاب سيبويه. فكتاب "الإيضاح العضدي" مثلاً هو مختصر كتاب سيبويه2. وكذلك كتاب "التعليقة على كتاب سيبويه"، الذي يبيّن ما غمض من نصوصه، بين إسهاب

1ابن جنّي : الخصائص 1 / 309.

2انظر: الفارسيّ: الإيضاح العضدي مقدمة التحقيق .

واقتضاب1. وكتاب "الإغفال" هو شرح نصوص من كتاب سيبويه، وتطبيقات لقواعده2؛ ممّا يدل على عميق فهمه الكتاب الذي عكف عليه، واستوعب مسائله، فانصهرت شخصيته فيه، وكان يلجأ أحيانًا إلى "إعراب نصّ سيبويه، ليصل من خلال ذلك إلى المعنى الذي يروم"3.

ولم يكن تأثّر الفارسيّ، الذي أورثه ابن جنّي، متعلّقًا بآراء سيبويه النّحويّة فقط، بل كان متأثّرًا بمنهجه النّحويّ في الاعتراض والرد عليه، وافتراض الأسئلة والإجابة عنها. وقد ظهر لنا كيف نحا ابن جنّي هذا المنحى في عرضه مسائله، إذ تأثّر في ذلك بالفارسيّ وسيبويه.

فمسألة (ويكأَنَّ)

من الأمثلة المظهرة تأثّر ابن جنّي بأستاذه الفارسيّ في إجلالهما سيبويه، مع استقلالية الرأي، والنهج العلمي في العرض القائم على المنطق العقلي المنظّم؛ إذ عقد الفارسيّ في المسائل العضديّات مسألة خاصة بِـ(وَيْكَأَنَّ) مِمَّ تتألف؟ فقال: "يقولون: وَيْكأنَّ اللهَ" [القصص:82]، قال سيبويه: هي (ويْ) مفصولة من (كأنَّ). والمعنى أنَّ القوم انتبهوا أو نُبّهوا فقالوا: أما يشبه أن يكون هذا هكذا؟ يريدُ بذلك أنّ المعنى: كأنّه لا يفلح الكافرون، فدلّ قوله (يشبه) على هذا المعنى"4.

فعرض هنا الفارسيّ رأي سيبويه أوّلًا في (ويكأنَّ)، وفسّره، ولم يكتفِ بهذا، بل عرض قول الأخفش فيها، فعنده "وَيْكَ (ويْ) هي الكلمة المستعملة للتعجب، والكاف للخطاب، لحقت (ويْ) التي معناها: أتعجّب،

1انظر: الفارسيّ: التعليقة على كتاب سيبويه 13/1.

2انظر: الفارسيّ: الإغفال 20 مقدمة التحقيق.

3الفارسيّ: التعليقة على كتاب سيبويه 1 / 17 . مقدمة التحقيق .

4 الفارسيّ : المسائل العضديات 58.

كما لحقت (رُوَيْدَ) في قولهم: رويدَك، وأبصرْك زيدًا، يريدُ: أبصِر زيدًا، فأُلحق الفعلُ الكافَ للخطاب"1.

وعلى طريقته في الاستدلال بالتقسيم، والتي ظهرت عن ابن جنّي أيضًا، يعرض رأيَيْن في (الكاف)، فيبطل أحدهما، ليقويّ الآخر، وهو رأي الأخفش، ويقول به، فقال: "الكاف فيها لا تخلو من أن يكون لها موضع من الإعراب، أو لا موضع لها. فلو كان لها موضع لكان جرًّا لتعلّقها بالاسم الذي هو مصدر، وذلك لا يكون إلّا بالإضافة، والإضافة لا تجتمع مع الألف واللام، وإذا كان كذلك، عُلِم أنَّ الكاف لا موضع لها من الإعراب، وإنّما لحقت للخطاب فقط، كما لحقت التاء في قولهم: (أنتَ) للخطاب فقط متعرّية من معنى الاسم الذي في قولنا: (فعلتَ) للمخاطب. فكذلك الكاف في (وَيْكَ) على قول الأخفش للخطاب متجرّدًا من معنى الضمير"2.

فلاحظ كيف يلجأ الفارسيّ للقياس التمثيلي، الظاهر أيضًا عند ابن جنّي في عرضه مسائله النحوية، فهو يقيس الكاف المجرّدة من الضمير بالتاء في (أنتَ) المتعرّية من معنى الاسمية عنده.

وناقش ابن جنّي مسألة (ويكأنَّ) في المحتسب باستفاضة، عارضًا قولًا ثالثًا في تفسيرها، متقدّمًا فيها على أستاذه في الإحاطة بالأقوال؛ إذ اكتفى أستاذه بعرض رأيَيْ سيبويه والأخفش.

ففي قوله _ تعالى _: " وَيْكَأَنَّهُ لا يفلحُ الكافرون" [القصص:82]، عرض ابن جنّي لقراءة "وَيْكَ": يقف عليها ثم يبتدئ فيقول: إنه، فقال: "في (ويكأنه) ثلاثة أقوال: منهم من جعلها كملة واحدة، فقال: "ويكأنه"، فلم يقف على (وَيْ). ومنهم من يقف على (وَيْ)،. . . ومنهم من يقول: (وَيْكَ)، وهو مذهب أبي الحسن"3.

1 نفسه 59.

2 الفارسيّ: المسائل العضديّات 59.

3 ابن جنّي : المحتسب 2 /150 .

ويرتضي ابن جنّي وجهًا منها ويشرحه قائلًا: "والوجه فيه عندنا قول الخليل وسيبويه، وهو أنّ "وَيْ"، على قياس مذهبهما اسم سُمّي به الفعل في الخبر، فكأنّه اسم (أعجب)، ثم ابتدأ فقال: "كأنّه لا يفلحُ الكافرون" . . . و(كأنَّ) هنا إخبار عارٍ من معنى التشبيه"1.

وابن جنّي يقويّ رأيه في خلو (كأنَّ) من معنى التشبيه بالاستشهاد بما قال به الفارسيّ فيقول: "وممّا جاء في (كأنّ) عارية من معنى التشبيه ما أنشد أبو عليّ:

كَأَنَّي حينَ أُمسِي لا تُكلّمُني مُتَيَّمٌ يشتَهي ما ليسَ مَوْجُودا2

أي : أنا – حين أُمسى – متيمٌ من حالي كذا وكذا"3 ، فلاحظ كيف اعتمد ما أنشده أبو عليّ، ليبرهن على تأثّره به في استدلالاته، ومناقشاته، وقياسه.

ومع أنه رجّح رأي الخليل وسيبويه، إلاّ أنه ذكر علّة القول الذي قال به الأخفش، وحجّته في اختياره، فيقول: "ومن قال: إنها (ويْكَ) فكأنه قال: أعجب لأنّه لا يُفلح الكافرون،. . . وهو قول أبي الحسن، وينبغي أن تكون الكاف هنا حرف خطاب لا اسمًا، بل هي بمنزلة الكاف في (ذلك) و(أولئك)، وذلك أنَّ (وَيْ) ليست مما يُضاف، ومن وقف على (ويْك) ثم استأنف، فينبغي أن يكون أراد أن يُعلم أن (الكاف) من جملة (وَي)، وليست بالتي في صدر (كأن)، فوقف شيئًا لبيان هذا المعنى، ويشهد لهذا المذهب قول عنترة:

ولَقَدْ شَفى نَفْسِي وَأَبْرأَ سُقمَها قيلُ الفَوارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقدِمِ "4

فبرع التلميذ هنا، إذ أتى برأي الأخفش، وعلّله، وقدّم الشاهد على صحة ما ذهب إليه، ممّا أغفله الفارسيّ

1 ابن جنيّ: المحتسب 2 / 199 .

2 الشاهد لابن أبي ربيعة في ديوانه، وهو بلا نسبة في المحتسب، انظر: حنّا حدّاد: معجم شوهد النحو الشعرية. شاهد رقم 677.

3 ابن جنّي : المحتسب 2 / 199 .

4 نفسه 2 / 200 . والبيت في معجم شواهد النحو الشعرية، شاهد رقم (2665).

في نقاشه الرأي. فابن جنّي يُخْرِجُ المسألةَ أوضحَ، بتعقيبه، وتحليله، واستشهاده.

أمّا في عرض ابن جنّي مثلًا مسألة **الأسماء الستة**، نراه قد عرّفها، وأطلق حكمها، دون أن يردفه بالتعليل، أو أن يفنّد الآراء الخلافية حولها، فاكتفى بإيراد الحكم الذي خالف فيه سيبويه، وجمهور البصريين. إذ يقول: "واعلم أنّ في الأسماء الآحاد ستة أسماء تكون في الرفع بالواو، وفي النصب بالألف، وفي الجر بالياء، وهي: أبوك وأخوك وحموك وهنوك وفوك وذو مال. تقول في الرفع: هذا أخوك . . . وذو مال. وفي النصب: رأيت أباك وأخاك . . . وذا مال. وفي الجرّ: مررت بأبيك . . . وذي مال. والواو حرف الإعراب وهي علامة الرفع، والألف حرف إعراب وهي علامة النصب، والياء حرف الإعراب وهي علامة الجر"1 . وكان قد عرّف سابقًا "حرف الإعراب من كلّ معرب، فهو آخره، نحو: الدال من زيد والميم من يقوم"2.

والذي خالف فيه ابن جنّي جمهور البصريين في هذه المسألة ما قاله في كلٍّ من الواو والألف والياء. فهي حروف إعراب وعلامات إعراب على السواء.

فقد "ذهب سيبويه إلى أنها حروف إعراب، والإعراب فيها مقّدر كما يقدّر في الأسماء المقصورة، وإنما قلبت في النّصب والجرّ للدلالة على الإعراب المقدّر فيها"3، فهي معربة من مكان واحد. "وذهب الكسائي والفرّاء إلى أنّها معربة بالحركات والحروف معًا، وهو الذي يعنون به أنه: معرب من مكانيْن "4 .

وقد تابع أبو الحسن الأخفش في أحد قوليْه سيبويه، "وذهب في القول الثاني إلى أنّها ليست حروفَ إعراب، ولكنّها دلائل الإعراب، كالواو والألف والياء في التثنية والجمع، وليست بلام الفعل"5 .

1ابن جنّي : اللمع في العربية 7 .

2نفسه 2 .

3السُهيلي: نتائج الفكر في النحو 99 .

4 أبو حيّان الأندلسي: ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب 1 / 416 .

5ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف. مسألة 2.

وذهب أبو عليّ الفارسيّ "إلى أنّها حروف إعراب، ودوال على الإعراب، وكأنّه جمع بين قول الأخفش وقول سيبويه "1 .

والذي يظهر من ذلك أنّ ابن جنّي تابع الفارسيّ فيما ذهب إليه، فلم يكتفِ بقول سيبويه وجمهور البصريين أنّها حروف إعراب فقط "لأنّها لو كانت حروف إعراب كالدال من زيد والراء من عمرو لما كان فيها دلالة على الإعراب؛ ألا ترى أنك إذا قلت: ذهب زيد، وانطلق عمرو، لم يكن في نفس الدال والراء دلالة على الإعراب"2، ولكنّه جمع إلى قوله قول الأخفش الثاني في كونها دلائل على الإعراب أيضًا.

وبغض النظر عن كون حكمها الذي أطلقا في الواو والألف والياء مرجوحًا أو فاسدًا، فإنّ الذي يعنينا هنا هو جرأتهما على مخالفة سيبويه، فهما ليسا متعصبيْن لمذهب أو شخص، ولكنّهما قادران على تبنّي الرأي والقول به إن اقتنعا بصحّته.

أثر المنطق العقلي في أحكام ابن جنيّ والفارسيّ:

ومن سمات المنهج الذي تأثّر فيه ابن جنّي بأستاذه الفارسيّ تفشّي القياس، والافتراضات المنطقية للمسائل، والجدل العقلي والتعليلات والتحليلات. فابن جنيّ تابع الفارسيّ بطريقته المنطقة في إيراد الاعتراضات المفترضة، ثمّ دفعها بالأدلّة والحجج، وبإيراد الأوجه المحتملة، وردّها إلّا واحدة يرتضيها ويقول بها، فيُسقِط المرجوح منها، إذ يحكم بالبقاء للأصلح والأرجح. معتمدًا بذلك كله القياس والاحتجاج.

وهما بعيدان عن إسقاط مقولات المنطق ومبادئه المغرقة في الجدل والغموض على النحو؛ ودليل ذلك ما أورده التوحيدي في إحدى مقابساته من خبر حول الفارسيّ ورأيه بالمنطق إذ قال: "كنّا أمسِ في مجلس الفَسَويّ

1أبو حيّان الأندلسي: ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب 1 / 416 .

2ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف . مسألة 2 .

النحويّ1، فجرى كلام في النحو، فقال له الأندلسيّ: أيها الشيخ، لم صار الظرف المخصوص بالزمان أكثر من الظرف المخصوص بالمكان؟ فسكت هُنيْهة، ثم قال: لا أدري، وليس هذا في النحو. فالنحو في هذا أن تعرف أن الظرف ظرفان: ظرف زمان، وظرف مكان، وتحصي أسماء هذا، وتميّزها من أسماء هذا، وتقف على هذه المواضيع المخصوصة بهما، والإعراب اللازم لهما وبهما"2.

ومسألة الاستثناء المنقطع

مثال يظهر لنا طغيان روح المنطق عند التلميذ وأستاذه، إذ يعرّفه الفارسيّ في كتابه "الإيضاح" قائلًا: "أن لا يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، وذلك نحو: ما جاءني أحدٌ إلاّ حماراً، فالاختيار فيه النصب، وإنْ كان الكلام غير موجب"3. ولكنه يعقد لهذا الاستثناء مسألة في البغداديات، فيوضّح ما جاء فيها من آراء وتوجيهات، ذاكرًا ما قاله سيبويه في تخريجه وشرحه معناه، فيقول: "ذكر سيبويه الاستثناء المنقطع، وأنَّ (إلاّ) بمعنى (لكن)، وربما ظنَّ ظان أنه أراد بهذا أن انتصاب الاسم بعد (إلاّ) كانتصابه بعد (لكن)، وأنّ الخبر مضمر، وهذا التأويل خطأ عليه، ولا يجوز أنْ يكون أراده؛ ألا ترى أنّه مثّل انتصاب المستثنى بانتصاب الدرهم بعد العشرين، وهذا من عادته أن يمثِّل به ما كان منتصبًا عنده عن تمام الجملة المذكورة قبلها، وإنما شبّهها بِـ(لكن) من جهة المعنى دون اللفظ"4.

فلاحظ كيف احتاط للفهم الخاطئ، فوضّح مبتغى سيبويه من تشبيهه (إلاّ) بِـ(لكن)، وأعطى الدليل على

1 زيد بن عليّ بن عبد الله الفارسيّ الفَسَويّ، أبو القاسم (467هـ)، علم بعلم اللغة والنحو، له شرح إيضاح أبي عليّ الفارسيّ. انظر القفطي: إنباه الرواة 17/2، وياقوت: معجم الأدباء 1333/3، والسيوطي: بغية الوعاة 573/1.

2أبو حيّان التوحيدي : المقابسات 126.

3الفارسيّ : الإيضاح العضدي 212.

4الفارسيّ : المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات 493.

كون الشبه معنويًّا.

وهو لا يكتفي بهذا الدليل، ولكنّه يعطي دليلاً آخر قائلاً: "والدليل على أن انتصاب ما بعد (إلاّ) هنا عن تمام هذه الجملة المذكورة قبلها قولك: جاءني القوم غيرَ النساء، وجاءني الناسُ غير البهيمة. ألا ترى أن (إلاّ) في قولهم: جاءني القوم إلاّ النساءَ، لا يخلو من أن تكون عاملة عمل لكن، فالخبر مضمر، والعامل في الاسم ما قبله من الجملة، فلو كان العامل النصب (لكن)، والخبر مضمر، لوجب أن يكون لِـ(غير) خبر مضمر . . . كما كان لِـ(لكن)، وإضمار خبر (غير) محال، لأنك إذا أضمرته كما أضمرت خبر (إلاّ) وجب أن يكون مرفوعًا كما كان خبر (إلاّ) لما كان بمعنى (لكن) مرفوعًا، وليس هنا شيء يجوز أن يرفع الخبر، من فعل ولا شيء مشبه به، فعلم بذلك أن انتصاب الاسم بعد (إلاّ) مثل انتصاب (غير) . . . لأنهما في ذلك سواء. وإنّما مُشبهة بِـ(لكن) من جهة المعنى"1 .

فالفارسيّ هنا يفترض الاحتمالات بأسلوب الفنقلة، فيطلق حكمًا غير جائز حول الاستثناء المنقطع قائلاً: "**ولو قلت**: "قعد القوم لكن زيدٌ، وقعد العمرون لكن بِشْرٌ"، **لم يجز**، حتى تقول: "لكن زيدٌ لم يقعد، ولكن بِشْرٌ ذهب"، ونحو هذا ...، لأنها أريد بما بعدها أن لا يكون داخلاً في جملة ما قبلها. **ولكن لو قلت**: "ما جاءني أحد لكن حمارٌ"، جاز؛ لأن الحمار لا يكون من الأحدين، وكذلك: "ما جاءني زيدٌ لكن عمرو"، لأن عمرًا ليس بزيد، ولم يثبت بمجيء زيد مجيء عمرو، فيكون نقصًا، وكذلك: ما جاءتني امرأة لكن رجلٌ، وما جاءني رجلٌ لكن غلامٌ، **كل هذا جائز**؛ لأن الغلام ليس برجل، ولو قلت: **ما جاءني أحدٌ لكن غلامٌ كان فاسدًا**"2.

1 الفارسيّ : التعليقة على كتاب سيبويه 55/2.

2 الفارسيّ: المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديّات 495.

واستطرد الفارسيّ في حديثه عن (إلاّ) إلى (لكن)، واستطراده سمة سلبية عنده، حتى قيل عنه: إنه يظهر"من الاستطراد لأدنى ملابسة تُنسيكَ الموضوع الأصيل الذي يتحدث فيه"1، فهو ليس كاستطراد تلميذه الذي يضمّ موضوعات مترابطة. وكأنّه شعر باستطراده هذا أنّه خرج عن مراده، فعاد إليه ذاكرًا ما دار بينه وبين أستاذه ابن السرّاج حول الاستثناء المنقطع، فيقول: "سألت أبا بكر عن قوله _ تعالى _ : "لا يَزَالُ بُنيانُهُمُ الذي بَنَوْا رِيبَةً في قُلُوبِهِم إلاّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُم" [التوبة:110]، ما المستثنى والمستثنى منه على تأويلك في الاستثناء المنقطع؟ فقال: إذا قلت: لأضربنك إلاّ أنْ تقوم، فالمعنى أنه يضربُهُ على كل حال إلاّ أن يقوم، فكأنه استثنى حال القيام هنا من الأحوال التي يضربُهُ فيها، فالمستثنى هنا من الأحوال القيام"2 .

ويرى في التعليقة للاستثناء المنقطع تفسيرًا ذكيّا خرج فيه من النحو والتركيب إلى المعنى البلاغيّ، فهو يرتضي التفسير النحويّ الدارج فيه، ثم يرى التأويل على اتساع المعنى، إذ يقول: "كما تقول: عتابُك السيف، فتجعل العتابَ السيفَ اتساعًا، وليس به على الحقيقة"3.

وقد كان لابن جنّي رأيٌ طريفٌ في الاستثناء المنقطع، ففي قوله _تعالى_ : "إلاّ من ظلم" [النمل:11]، القراءة الفاشية على انقطاع الاستثناء، إذ "مَنْ منصوبة على الاستثناء، وهو منقطع بمعنى (لكن)، فقوله تعالى "إني لا يخاف لديَّ المرسلون إلاّ من ظلم" [النمل:10،11] معناه: لكن من ظلم كان كذا. ولعمري إن الاستثناء المنقطع فاشٍ في القرآن وغيره، إلاّ أنه مع ذلك مُحْوِج إلى التأوّل وإعمال القياس والتمحّل"4 .

وهكذا لاحظنا ظهور النزعة المنطقية عند التلميذ وأستاذه، بتفشّي القياس والاستدلال والقول بالأوْلى. مع

1 عبد الفتاح شلبي : أبو عليّ الفارسيّ 645 .

2 الفارسيّ : المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات 496 .

3 الفارسيّ: التعليقة على كتاب سيبويه55/2.

4ابن جنّي : المحتسَب 2 / 180 .

براعة ابن جنّي بذلك.

العلة والحكم عند التلميذ وأستاذه:

سار ابن جنّي بأحكامه النحوية وعلله على أثر شيخه أبي عليّ الفارسيّ، الذي مال إلى تقعيد النحو العربيّ، وضبط علله وأحكامه. ولكنّ التلميذ نظّم تلك القواعد، وتعمّق أكثر في أحكامها وعللها.

فأبو عليّ الفارسيّ في مسائله النحوية يكشف عن براعته ودقّته في الاحتجاج والقياس والاستدلال، وهو يسير في إثباتها على وتيرة واحدة، لا يغادر المسألة إلاّ بعد إشباعها بحثًا وتمحيصًا، ويعتمد الخطاب بإيراد السؤال والجواب عنه، مع النقاش، والاستطراد، سالكًا بذلك طريق الاستدلال بالتقسيم، لإثبات الحكم بعد الاستنتاج. ونَهْجُ تلميذه في ذلك يشبه نهجه. فابن جنّي يذكر الاحتمالات الممكنة للأحكام، ويبطل غيرها ليصل إلى الحكم الصحيح الذي يرتضيه، مدعّمًا بالحجة العقلية المنطقية، والعلّة المسوّغة له.

فهذا الفارسيّ يعرض مسألة متعلّقة بِ(**حتّى**)، فيورد أوّلًا أحكام (حتّى) عامّة وأضربها في الكلام، ويتدرّج في إثبات الحكم ليصل أخيرًا إلى عقد حكم مجزوء حول (حتّى) في تخصّص معناها في الجملة الواحدة، إذ يجب اختيار معنى واحد دون غيره من معانيها؛ فيقول: "اعلم أنّ (حتى) على ثلاثة أضرب:

_ **أحدها: أن تكون جارّة**، نحو: "حتى مَطْلَعِ الفَجْرِ" [القدر:5]، وهذه الجارّة هي التي تنصب الأفعال بعدها بإضمار (أن)، والفعل وأن المضمَرة معه في موضع جرٍّ بِ(حتّى).

_ **والآخر: أن تكون عاطفة**، في نحو:

والزادَ حتى نعلَه ألقاها[1]

[1] الشاهد قطعة من بيت لأبي مروان النحوي أو ابن مروان النحوي وهو بتمامه:

فهذه تكون عاطفة، والدليل على ذلك أنها لا تخلو من أن تكون عاطفة أو جارّة، فلو كانت جارّة، لانخفض الاسم بعدها، ولم يُعطف على ما قبلها، ولم يشركه في إعرابه. فلما شَرِك ما بعدها في إعراب ما قبلها ثبت أنّها عاطفة، ولو كانت غير عاطفة لجرّت.

_ والثالث: أن تكون داخلة على الجُمل ومنصرفًا بعدها الكلام إلى الابتداء،

كأمّا وإذا ونحوهما، وذلك نحو قوله:

فَيَا عَجَبًا حتَّى كُليبٌ تَسُبُّني1

ألا ترى أنه لا تخلو من أن تكون عاطفة، أو جارّة، أو على الوجه الآخر. فلا يجوز أن تكون عاطفة، لأنّه لا يجوز: يا عجبًا وزيدٌ منطلقٌ، لأنك لا تشرك زيدًا في النداء، ولا تدخله أيضًا في الحديث الأوّل، لأنّه ليس من شكله، ومخالف له في جنسه . . . فإذا لم يكن شكله لم ينعطف عليه، وإذا لم ينعطف عليه صار كأنّه قال مبتدئًا: وزيدٌ منطلقٌ، وهذا غير سائغ"2.

فبعد أن نفى أن تكون عاطفة، ينبري لردّها مِن أن تكون جارّة، وذلك بإتباع أسلوب الفنقلة، فيقول: "فإن قلت: فلِمَ لا تكون هذه الجارّة وتكون الجملة في موضع جر؟ فذلك خطأ من غير وجه، ألا ترى أنّ الجُمل إنما يحكم لها بمواضع من الإعراب إذا وقعت في مواقع المفردة صفات لها، أو أخبارًا، أو أحوالًا، وليس هذا مِن مواضع المفردة، ألا ترى أنَّ (حتّى) الجارة لم تُضف إلى المضمر، نحو: حتّاك وحتّاه، حيث لم تتمكن تمكّن

ألقى الصحيفةَ كي يخفف رحلَه والزاد حتى نعله ألقاها

انظر حنا حدّاد : معجم شواهد النحو الشعرية شاهد رقم (3107).

1 الشاهد قطعة من بيت للفرزدق وهو بتمامه:

فيا عجبًا حتى كليبٌ تسبُّني كأنَّ أباها نهشَلٌ أوْ مجاشعُ

انظر حنا حدّاد : معجم شواهد النحو الشعرية شاهد رقم (1560) .

2 الفارسيّ : الإغفال 2 /74.

(إلى) . . . كان مِنْ أن تعمل في الجُمل أبعد، لأنّ الاتساع في إقامة الجملة مُقامَ المفرد أشدّ منه في إقامة المضمر مقام المظهر. ألا ترى أنّ عامة المواضع يقوم المضمر فيها مقام المظهر، ولا تقوم الجمل مقام المفرد إلاّ في مواضع أقل من ذلك . . . علمت أنّ الحكم بأنّ الجملة بعد حتى مجرورة من فاحش الخطأ، وما تدفعه الأصول، ولا يوجد عليه شاهد"1 .

فلاحظْ هذا المنهج المنظّم في تخصيص معنى (حتّى) في الجملة الواحدة، بحيث يمنع جواز حمل الشاهد على معنى آخر من معانيها، لامتناع ذلك نحويًّا.

ولكنّ ابنَ جنّي لم يحصر(حتّى) بثلاثة أوجه فقط كما فعل أستاذه الفارسيّ، ولكننا نراه يقول في باب (حتّى) الذي عقده في اللمع: "اعلم أنّ (حتّى) في الكلام على أربعة أضرب: تكون غاية؛ فتجرّ الأسماء على معنى (إلى)، وتكون عاطفة كالواو. ويبتدأ بعدها الكلام، ويضمر بعدها (أن) فتنصب الفعل المستقبل على أحد المعنيْن: معنى (كي)، ومعنى (إلى أن) "2 .

فالفارسيّ دمج الضرب الأوّل عند ابن جنّي بالضرب الرابع، ف(حتى) الجارّة عنده، كما تبيّن لنا، هي التي تدخل على الجملة الفعلية وتنصب الفعل بأن مضمرة. وتكون في موضع جرّ.

وابن جنّي بعد أن يورد الأضرب الأربعة، يورد الشاهد الذي أورده الفارسيّ ولكن على اختلاف كبير معه في التخريج والاستشهاد، حتى في حيثيّة الاستشهاد فقد أورد ابن جنّي الشاهد الشعريّ كاملًا، في حين اكتفى الفارسيّ بعرضه مجزوءًا، فيقول: " ويروى هذا البيت على ثلاثة أوجه :

ألقى الصحيفة كي يخفّف رحله والزادَ حتى نعلَهِ ألقاها3

1 الفارسيّ : الإغفال 2 /79.

2ابن جنّي : اللمع في العربية 44 .

3 مُخرّج الشاهد سابقًا.

يروى برفع (نعله) ونصبها وجرّها: فمن رفعها فبالابتداء، وجعل ألقاها خبرًا عنها، ومن نصبها عطفها على الزاد، وجعل ألقاها توكيدًا له، وإن شاء نصبها بفعل مضمر، وتكون ألقاها تفسيرًا له، ومن جرّها فبِـ(حتّى)، وجعل ألقاها توكيدًا أيضًا"1 .

فهذا المثال يؤكّد تأثّر ابن جنّي في طريقته في عقد الحكم بأستاذه الفارسيّ، مع تفوّق التلميذ على أستاذه في الإحاطة بالمعلومات، وحصر المسألة بإحكام، وعدم اللجوء إلى الاستطراد الذي قد يُخرِج عن صلب الموضوع. ومع السّير على خطاه فـي الاستشهاد.

ومن القضايا التي خالف ابن جنّي بها أستاذه المؤنث الساكن الوسط مثل: هِنْد وجُمْل، فالحكم عند ابن جنّي فيه جواز الأمريْن: الصرف وتركه، فتقول: رأيتُ هندَ أو هندًا. وهو مذهب سيبويه والجمهور2، فكلاهما مسموع. وعلّة ترك الصرف: اجتماع التعريف، أي العلمية، والتأنيث. وعلّة الصرّف: اعتبار قلة الحروف وخفّة السكون.

وعلى الرغم من جواز الأمريْن، اختلف في الأجود منهما، " فالأصح أنّ الأجود المنع، قاله ابن جنّي، وهو القياس، والأكثر في كلامهم. وقال أبو عليّ الفارسيّ: الصرف أفصح. قال الخضراويّ: ولا أعلمُ قالَ هذا القولَ أحدٌ قبله، وهو غلط جليّ"3 . فقد رجّح ابن جنيّ القياس هنا على السماع، فكانت علّة المنع أقوى من علّة الصرف، على الرغم من تجويز السماع كلتيهما.

ويعرض ابن جنيّ في كتابه: التمام في تفسير أشعار هذيل بيتًا من أشعار الهذليين، ويعلن أنه استدلّ من سؤاله فيه لأبي عليّ الفارسيّ، وعدم قدرته التخريج، على عدم التفات أستاذه إليه. وذلك في قول الشاعر:

1 ابن جنيّ: اللمع في العربية 45.
2 انظر: السيوطي : همع الهوامع 1 / 313.
3 السيوطي: همع الهوامع 1 / 113 .

بأجرأ جرأةً منه وأدهى إذا ما كارب الموت استدارا1

فيقول ابن جنّي فيه: "(جرأة) هنا منصوب على التمييز لا على المصدر، وذلك أن (أفعل) هذه الموضوعة للمفاضلة نحو: أحسن منك، وأكرم منك، لا يجوز استعمال المصدر معها من قبل أن الفرض في المصدر إنما هو التوكيد. وأفعل هذه قد استغنت بما فيها من المبالغة عن التوكيد بالمصدر، فكذلك لا تقول: ما أحسنه حسنًا ولا إحسانًا،. . . فإذا كان كذلك كان (جرأة) منصوبًا على التمييز"2 .

ثم يبدأ قياس حكمه، للقول بصحته، بالأمثلة والشواهد، فالذي ذهب إليه فيه نصب (جرأة) على التمييز كقول من قال: هذه جرأةٌ جريئة، وهذا شعرٌ شاعر. وكقولهم: جُنَّ جنونه، وخرجت خوارجه. وكذلك قول الشاعر:

ولولا دفاع الله ضلَّ ضلالنا ولسرنا أنا نُثَلّ ونوأد3

واستشهد ابن جنّي أيضًا هنا بقوله _ تعالى _: "فاذكروا اللهَ كذِكرِكُم آباءَكُم أَوْ أشدَّ ذِكرًا" [البقرة:200]، " فكأنّه قال، والله أعلم،: أو ذكرًا أشدَّ ذكرًا، فجعل للذكر ذكرًا مبالغة "4.

ثم يورد إعجابه بما وصل إليه من حكم متفرّد فاق فيه أستاذه، فيقول: "وذاكرت أبا عليّ _ رحمه الله _ بهذه الآية، فأخذ ينظر فيها مستأنفًا النظر، ويردد من القول ما دلّني أنه لم يكن قدم فيها فيما قَبْل نظرًا، فعجبت من ذلك من كثرة بحثه وطول مزاولته"5.

فابن جنّي قد تأثّر بالسمات المنهجية لأستاذه الفارسيّ في النحو في تواليفه، مع تفوّقه عليه في إحكام

1البيت للبُريق بن عياض. انظر ابن جنّي : التمام في تفسير أشعار هذيل 91.
2ابن جنّي : التمام في تفسير أشعار هذيل 91 .
3 البيت للبُريق بن عياض. انظر ابن جنّي : التمام في تفسير أشعار هذيل 92.
4 ابن جنّي: التمام في تفسير أشعار هذيل 92.
5 نفسه 92.

أحكامها، وعدم استطراده في معالجتها.

الشواهد النحويّة عند التلميذ وأستاذه:

العناية بالشواهد، والإكباب على إيرادها، هي سمة من سمات تأثّر التلميذ بأستاذه، وقد تابعا فيها نهج الإمام سيبويه الذي أثّر فيهما معًا، فكلٌّ منهما يحذو حذوه في الإسناد إلى شيخه، "فسيبويه عندما يقول: (سألته) أو (قال) فإنّه يعني الخليل [في الغالب]، كذلك يفعل أبو عليّ في الإسناد إلى أستاذه ابن السرّاج"1، وهو يطابق ما يفعله ابن جنّي في إسناده الأقوال والشواهد إلى أستاذه الفارسيّ.

فعند ملاحظة نسق شواهده النحوية نلاحظ أنّ الفارسيّ له طريقة خاصة في إيراد الشاهد فهو قد يروي الشاهد كاملًا، أو يروي صدر الشاهد الشعري، أو قد يكتفي بكلمة أو كلمتين منه.

فقد أورد صدر البيت فقط في مسألة نحوية عرضها في كتابه "الإغفال"2 لاحتوائه على الشاهد من قول الشاعر:

مِنْ أجلك يا التي تَيَّمْتِ قلبي وأنتِ بخيلةٌ بالودّ عَنِّي3

وكذلك استشهد في مسألة نحوية عرضها أيضًا في كتابه "الإغفال"4 بجملة (ضَنِنوا)، فحملها على الضرائر، من الشاهد:

1 الفارسيّ: التعليقة على كتاب سيبويه 1 / 38.

2 289/1.

3 الشاهد من شواهد سيبويه،: الكتاب 197/2. وهو بلا نسبة فيه، انظر حنّا حدّاد: معجم شواهد النحو العربيّ، شاهد رقم (2854).

4 289/1.

مَهْلًا أَعاذِلَ قد جَرَّبتِ مِنْ خُلُقي إنّي أَجُودُ لأقوامٍ وإن ضَنِنُوا1

وابن جنيّ سار على نسق أستاذه في الاستشهاد؛ ففي كتابه "المقتَضَب في اسم المفعول من الثلاثيّ المعتلّ العَيْن" مثلًا استشهد كثيرا بأنصاف الأبيات، ففي مسألة إتمام مفعول من الواو استشهد بعجز الشاهد:

لما أتوْها بمصباح ومبزلهم سارت إليهم سؤور الأبجلِ الضاري2

وابن جنّي تأثّر بأستاذه في نسق استشهاده الشعري، وبالقول بالضرائر الشعرية، ووافقه فيما ذهب إليه من رأي طريف حول الشاهد النثري. فقد أورد ابن جنّي أثناء مناقشته في المحتسب مسألة نحوية وحكمه فيها تضعيف حذف حرف النداء مع الاسم الذي يجوز أن يكون وصفًا لأي، فلا نقول: رجلُ أقبلْ، فتطرّق إلى أمثال سائرة على ألسن الناس، وحكمها على ما ضعّفه، فأورد هذه الأمثال، ثم قال برأيه الذي اقتبسه من أستاذه حول الضرائر. فقال: "على أنّ هذا قد جاء في المثل، وهو قولهم: افتدِ مخنوق، وأصبح ليل، وأطرق كرا. يريد يا مخنوق، ويا ليل، ويا كروان. وعلى أن الأمثال عندنا وإن كانت منثورة، فإنّها تجري في تحمّل الضرورة لها مجرى المنظوم في ذلك. قال أبو عليّ: لأنّ الغرض في الأمثال إنّما هو التيسير، كما أنّ الشعر كذلك، فجرى المثل مجرى الشعر في تجوّز الضرورة فيه "3. فها يجريان الأمثال مجرى الشعر في الضرورة.

1 الشاهد لقعنب بن أم الصاحب. انظر سيبويه: الكتاب 29/1، وحنّا حدّاد: معجم شواهد النحو الشعرية، شاهد رقم (2854).

2 من شواهد سيبويه 231/2 والبيت للأخطل.

3 ابن جنّي : المحتسب 2 / 114 .

الخاتمة:

بدا تأثّر ابن جنّي التلميذ بأستاذه الفارسيّ تأثرًا كبيرًا وعميقًا في مسائله النحوية من حيث الأمانة العلمية، واستقلالية الرأي، وعدم التعصّب المذهبيّ، والتأثّر بسيبويه موضوعًا ونهجًا، وعدم التضيّر من مخالفته أو جمهور البصريين، وسريان روح المنطق في المنهج النحويّ، الذي انعكس في تسلسل أجزائه المترابطة، والمنتظمة، وفي علله وأحكامه، وشواهده النحويّة.

وامتاز كلٌّ منهما بدقة الملاحظة، والقدرة على لمح الإشارات الخاطفة، وإعمال الفكر والعقل والمنطق في الدراسة والتحليل والتعليل والقياس المبتكر؛ فلهما اجتهادات نحوية خاصة بهما. كما لهما طريقة ذكية في عرض المسائل النحويّة المخالفة رأي الجمهور، إذ يعرضان الرأي المخالف، ويفنّدانه، ثم يدحضانه بالرد عليه معلّليْن ومدعّميْن بالحجة غير القابلة للنقض، ثم يعرضان رأيهما الذي يراناه صحيحًا لعدم احتمال نقضه، فبقاؤه دون إدحاض دليل على صحته. ولهما نسق خاص في الشواهد الشعرية، وهما يحملان الأمثال النثرية محمل الشعرية من جهة الضرورة، لتشابه الهدف في التسهيل

ثبت المصادر والمراجع

1 _ ابن الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، أبو البركات (577هـ):

أ _ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين. (جزءان)، (د.ط) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د.د)، (د.ب)، 1982م.

ب _ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ط3، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء،1985م.

2 _ الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن عليّ الغرناطي، أبو حيّان (745هـ): ارتشاف الضرب من لسان العرب (3أجزاء)، ط1، تحقيق: مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني، القاهرة، 1987م.

3 _ الباخرزي، نور الدين عليّ بن الحسن بن أبي الطيب، أبو الحسن (467هـ):

دُمية القصر وعصرة أهل العصر (3 أجزاء)، ط1، تحقيق: محمد التونجي، دار الجيل، لبنان، 1993م.

4 _ ابن تغري بَرْدي جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي، أبو المحاسن (874هـ):

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (16 جزءًا)، ط1، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م.

5 _ التّنوخي المفضل بن محمد بن مسعر المعري (422هـ):

تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، ط1، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض 1981م.

6 _ التوحيدي عليّ بن محمد بن العباس، أبو حيّان (400هـ):

أ _ الإمتاع والمؤانسة (3 أجزاء)، (د.ط)، تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، لبنان، (د.ت).

ب _ المقابسات، ط1، تحقيق: محمد توفيق حسين، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1970م.

7 _ الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور:

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (5 أجزاء)، ط1، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، 1982م.

8 _ ابن جني أبو الفتح عثمان (392هـ)

ا _ التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكريّ، ط2، تحقيق: أحمد مطلوب، وأحمد ناجي القيسي، وخديجة الحديثي، دائرة معارف بغداد، 1962م.

ب _ الخصائص (3 أجزاء)، (د.ط) تحقيق: محمد على النجار، المكتبة العلمية، (د.ب)، (د.ت).

جـ _ اللمع في العربية، ط2، إصدار ثانٍ، تحقيق: فائز الفارس، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد،2001م.

د _ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (جزءان)، ط1، تحقيق:

محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م.

هـ _ المقتَضَب في اسم المفعول من الثلاثيّ المعتلّ العيْن، ط1، تحقيق: مازن المبارك، دار ابن كثير، دمشق، (د.ت).

9 _ حدّاد، حنا جميل معجم شواهد النحو الشعرية، ط1، دار العلوم، الرياض، 1984م

10 _ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، أبو العباس (681هـ):

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (8 أجزاء)، (د.ط)، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، لبنان، 1978م.

11 _ السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (562هـ):

الأنساب (5 أجزاء)، ط1، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، لبنان، 1988م.

12 _ السُهيلي عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم (581هـ):

نتائج الفكر في النحو، ط2، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، مكة المكرّمة، 1984م.

13 _ سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو البشر (180هـ):.

كتاب سيبويه (5 أجزاء)، ط1، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

14 _ السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، أبو بكر (911هـ):

ا _ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (جزءان)، ط2، تحقيق: محمد أبو الفضل

إبراهيم، دار الفكر، لبنان، 1979م.

ب _ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (4 أجزاء)، ط1، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م.

15 _ شلبي عبد الفتاح إسماعيل:

أبو عليّ الفارسيّ، حياته ومكانته بين أئمة العربية وآثاره في القراءات والنحو، ط1، مكتبة نهضة، مصر، القاهرة، 1377هـ.

16 _الفارسيّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو عليّ (377هـ):.

أ _ الإغفال: وهو المسائل المصلحة من كتاب معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزّجاج (جزءان)، ط1، تحقيق: د.عبدالله بن عمر الحاج إبراهيم، مكتبة لسان العرب، المجمع الثقافي، الإمارات،2003م.

ب _ الإيضاح العضدي، ط1، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، مطبعة دار التأليف، مصر، 1969م.

جـ _ التعليقة على كتاب سيبويه (جزءان)، ط1، تحقيق: عوض بن حمد القوزي، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1990م.

د _ المسائل العضديات، ط1، تحقيق: شيخ الراشد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1986م.

هـ _ المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، ط1، تحقيق: صلاح الدين عبد الله السنكاوي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مطبعة العاني، بغداد، 1983م.

17 _ الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (817هـ):

البلغة في تاريخ أئمة اللغة، (د.ط)، تحقيق: محمد المصري، وزارة الثقافة، القاهرة، 1972م.

18 _ القفطي جمال الدين عليّ بن يوسف، أبو الحسن (624هـ):

إنباه الرواة على أنباه النحاة (4 أجزاء)، ط1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م.

19 _ الموسوي محمد باقر الخوانساري (1313هـ):

روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات (8 أجزاء)، (د.ط)، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، مطبعة مهراستوار، طهران، 1392هـ.

20 _ اليافعي عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن عليّ أبو السعادات (767هـ):

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (4 أجزاء)، ط1، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997م.

21 _ اليماني تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد، أبو المحاسن (743هـ):

إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، ط1، تحقيق: عبد المجيد ذياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1986م.